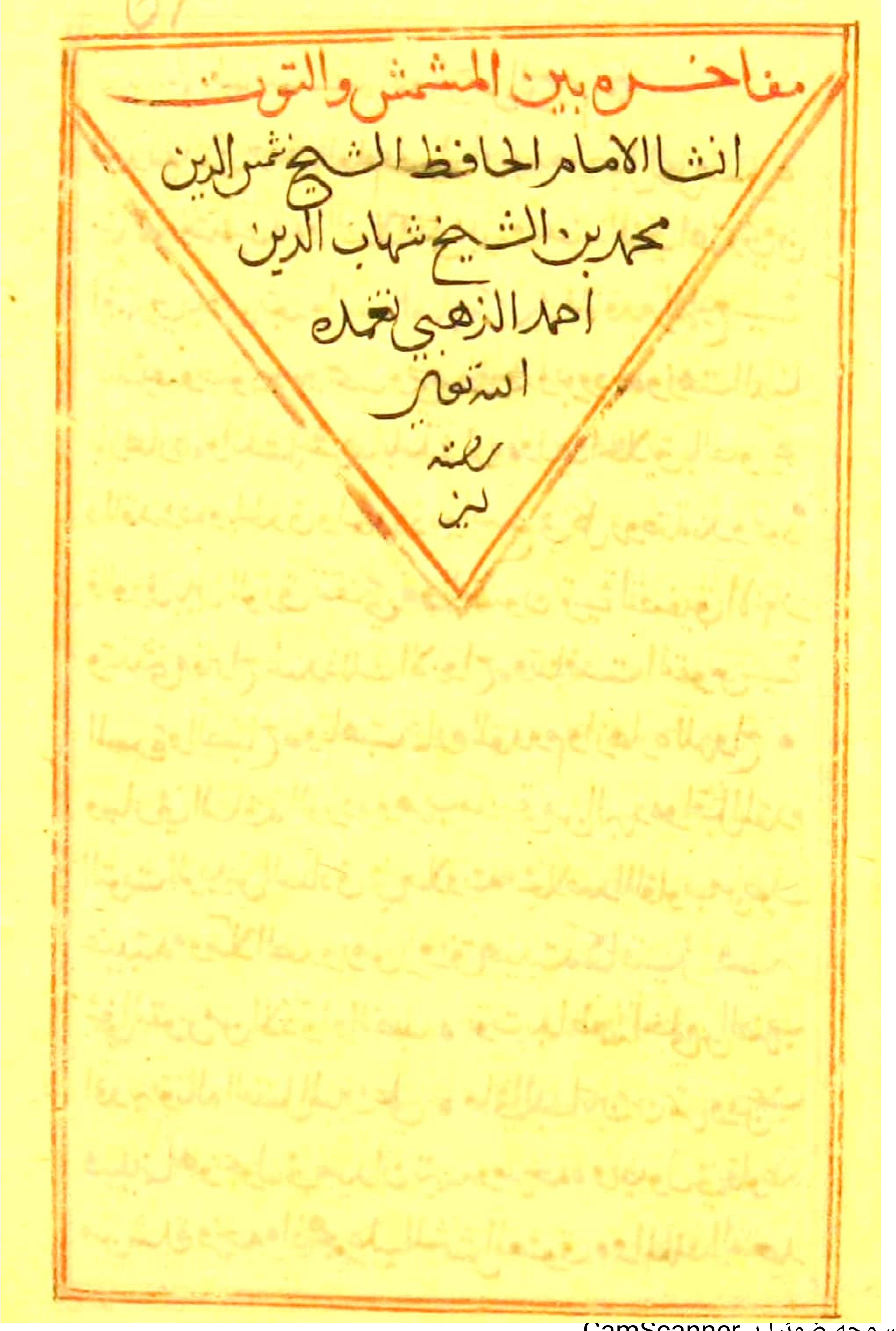


مفاخرة بين المشمش والتوت

انشا الامام الحافظ الشيخ شمس الدين
محمد بن الشيخ شهاب الدين
احمد الزهبي تغمده
الله تعالى
برحمته
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العام فصول اربعه • وجعل لكل فصل
منها ثمار متنوعه • والصلاة علي نبيه وصفيه الذي اهتدي من
اقتدي به من تبعه واتبعه **اما بعد** فلما قدم الربيع في
طلايعه وجنوده • وسحب وشي مطارفه وبروده • وزهت الدنيا
بازهاره • وانتعشت بانتشاره • وزين الخلايق بالصوره
والقدود • وبالحدق والخدود • واصبح في كل روضة ند وعود
فالورق بين الورق تتغني • والغصون ترقص لتصفيق الانهار
وتنثني • فاراح عند ذلك الارواح • وتنافست النفوس في
المسرة والصباح • وتاهبت ثماره للقدوم وازهاره للرواح •
وسار في الساقة الورد • وهرب ما بقي من البرد • واقبل المقدم
التوت الرئيس الصادق في حلاوته • لجلا صدا القلوب من طول
غيبته • وملا الصدور من رونق هيبته **كما قيل فيه**
شفي النفوس من الادوا والنصب • توت بدا طعمه احلي من الضرب
افديه تو تاله الفضل المبين علي • ما في البساتين من تمر ومن عنب
فبينما هو يجول في ميدان تيهه ومرحه • ويصول في قلوعه
من شدة فرحه • اذ هجم عليه المشمش المعشوق • والملك السعيد

المرفوق بين اعلامه الصفر • وبنود اغصانه الخضر **شعر**
كانه حين يبدو في الغصون ضحا • بنادق الرمي قد صيغت من الذهب
وبالنجوم اذا انقضت نشبهه • اذا بدا ساقطا من شدة اللهب
فصاح علي التوت صيحة ارعب بها جنوده • ونثر بها نظام امره
وعقوده • فعدم التوت الاصطبار • وعزم علي الفرار • ثم تشجع
ووقف للنضال • وقعد للمخاصمة والجدال • وقوي فكه وقال
ايها المليح الطيب المخبر • المنسوب في الشبه الي بني الاصفر •
اللابس الدرع المعصفر • بما تبجحت علي مقامي والرتب • وانا فقد
سبقت الي السعي من الوصب • وازريت بالرطب • وملات
الشوارع • وجلست علي القوارع • واستوي في الوصول الي
الغني والفقير القانع • والفضل للسابق • لا للاحق **فالتفت**
اليه المشمش التفات المدلل المتكبر • وصاح عليه صيحة المتجبر •
وقال ايها الوجع العليل الثقيل الدلع • هل انت الا من اجنادي
او ما علمت ان الدولة لي والبلاد بلادي • والناس تعد لي الايام •
وتنتظرني انتظار وابل الغمام • وتعد الناس لقدومي ايام البطا له
وكل بي تلتقي انواع واله • ومن جملة شروط الواقف في المدارس
استثنا ايام ورودي • وانجاز وعودي • ولي تضمن البساتين

ونعبي الغدور وتصفق الهواتين • ولا يذكرون الازمان •
الشمس لازمان التوت • فمت كمدا ان اردت ان تموت • والا
فالزم الحزن والسكوت • وان كنت قد تقدمت فانت الاخادم
وصاحب • ومتي علت عين علي حاجب **فقال** له التوت
طمعت في جانبي حين بعد القرين • وعز المسعد والمعين •
ولو كان فيك تقوي • لما كان قلبك علي ذلك يقوي • وان
كان عزمك المقام • فانا اودع وارحل بسلام **فقال** له المشمش
سافر من هذه الديار • فما لك معي فيها قرار • وان رضيت برميك
علي المزابل للكلاب • فتلقي في الشمس وقايا الالتهاب • ودق
راسك بالمرازب • وستعلم ابنا الصادق من الكاذب • اما تناذ
مع من لونه لون الذهب • وطعمه يزري بالسكر والعنب • وخده
اصقل من خد الخود الحسان • وقلبه ابيض من لولو النيسان
وقيمته من اجل الاثمان **فقال** له التوت اذا كان ولابد
من المفاوحه والمكالمه والمقابحه • فاخرج من قشورك •
للمناظره • ودع عنك المكابره • انا الخفيف الثمن • واللطيف
في البدن • والمرطب للسمن بمنزلة غصن الاملود • وكاني
اللولو في العقود • ولي السندس لونه وبنوده • وانت فقد

علالك

علاك الصفار • بعد الاخضرار • وراح قلبك من الغش حجر
من الاحجار • تثقل علي المعده • وتفسد الطعام في اقل مده •
وتحتاج الي التصريف • والا بودرت بالقي في الكنيف • وتستحيل
الي الصفرا • وتصير من جملة الادوا • وبيت الخلتان الاسما لة
والحمضه • وما احدث اكلك من مرضه • وانا انضر في عين
المعده بسرعه • اما تري ماي اصفي من دمعه • ولا امنع الاكل
من الشبعه والرجعه • فعظم علي المشمش هذا الكلام • واخذه
القلق والابتلام **وقال** ويلك تخاطبني بهذه المقاله • وانت
شديد الاستحاله • ولا تبقي علي حاله • وللسقم اقوي اله • اما
تعلم انك مرعي الذباب • وماكل الذباب • ولا يسمن عليك الا
الكلاب • انت من انواعك الكلابي • وانا من انواعي المحسني
ومتي ساوي المحسن من ذوي الالباب • الكلاب ابنا الكلاب •
ليس حلاوتك عند قدومك صادقه • ولا رويتك بهجة
رايقه • ولا الشبعه منك لايقه • ترخي المعده • وتحرك البرد
والرعده • ومع قوتك رخيص العرض • اكلك دا وفيه مرض • وانا
ذو الدرجة الفاخره • والروية الباهره • ولي تنفق الاموال •
وتتفاخر بكثرة اكلي الرجال • يعد وفي عدد الدنانير والدراهم

واتزل على القلوب كالمراهم • في الاجناس والانواع • والخدم والاتباع
انا من اعلى الفواكه ثمنا • وانت من اشتراك قنطار بدرهم فقد
غبنا • انت في الثمن كالحجر • وانا كالدرة النفيسة بين المدر
ولا شك ان الغالي اعز • والرخيص يكفي وبز • انا كريم
الطباع بادني تحريك اسمح بثمري للجاني • وان كان نجاني
وهذا طبع الكرام وانت ردي الطباع لا تجني الا بالعصي
والمرازب • والدق والضرب • لا ينال منك ثمرة الا بالعسر
وهذا من طبع اللئام • ولا ينكر هذا احد من الانام **فقال**
له التوت تعاظمت فوق الحاجه • وتجاوزت الحد في اللجاجة •
اما قولك في تثمن الكلاب • فانت المنسوب الى بني الاصفر
الملعونين وبني الكلاب • وانت كانت حلاوتي في ابتداي
غير صادقة • فحموضتك اول امرك محققة غير لائقة • وان
كنت رخيص الثمن • فهذا في حسن • ينتفع بي الغربا واهل
الوطن • ولولا انتسابك الى اللوز ما مشى لك حال • ولا
خطرت في بال • ولكنت في الوبال • ولصرت في اخر الاحوال
وما تشبه حلاوتك بالرطب • ولا ذاتك بجيد العنب • وانت
كثير العطب • واذا سلمت في النادر من الزمان فعجب • مني

هبت عليك شرقيه • قلت لم هذه البليه • اعوذ بالله من الافات
الرديه • رحت والله من الصعقه في اخس قضيه • فتضحي منك
اشجارك داويه • واغصانك على عروشك خاويه • وولت
عنك السعاده • واكتسي غصنك ثوب حداده • وصيرك الله
عبرة لعباده • وتمثل من لم يحظ منك براده **شعر**
ذهبت بشاشة حسن وجه الشمش • وغدا يطالعنا بوجه انمش
واسود منه الوجه حتى انه • كالفحم او بالفسق يوما قد حشي
ضعفت قواه فكلما هبت صبا • يحيي الروح بطيب رياها غشي
وانا فلا توثر في لوافح الرياح • ولا لوافح نسمات الصباح • لثبات
اصلي وفروعي • وصلابة جسمي وشدة منعي • التقي العواصف
بصدر رحيب • ولا اخاف من جليد ولا اخلتي من حر اللهيب •
ولولا اوراقي ما وجد الحرير • ولولا ساقي ما ثبتت دار الامير وفي
يقول الصادق الوثيق والحبيب اللبيب **شعر**
اما ترى التوت قد وافاك متبكرا • مدرع في الصواني افخر الحلل
كالثلج في قوة الحر الشديد له • طعم يشبه بالجلاب والعسل
يشفي القلوب ويرويها على ظما • وينتدي برده بالغل والنهل
هو الامام الذي لولا تقدمه • ما فرق الناس بين الجدي والحمل

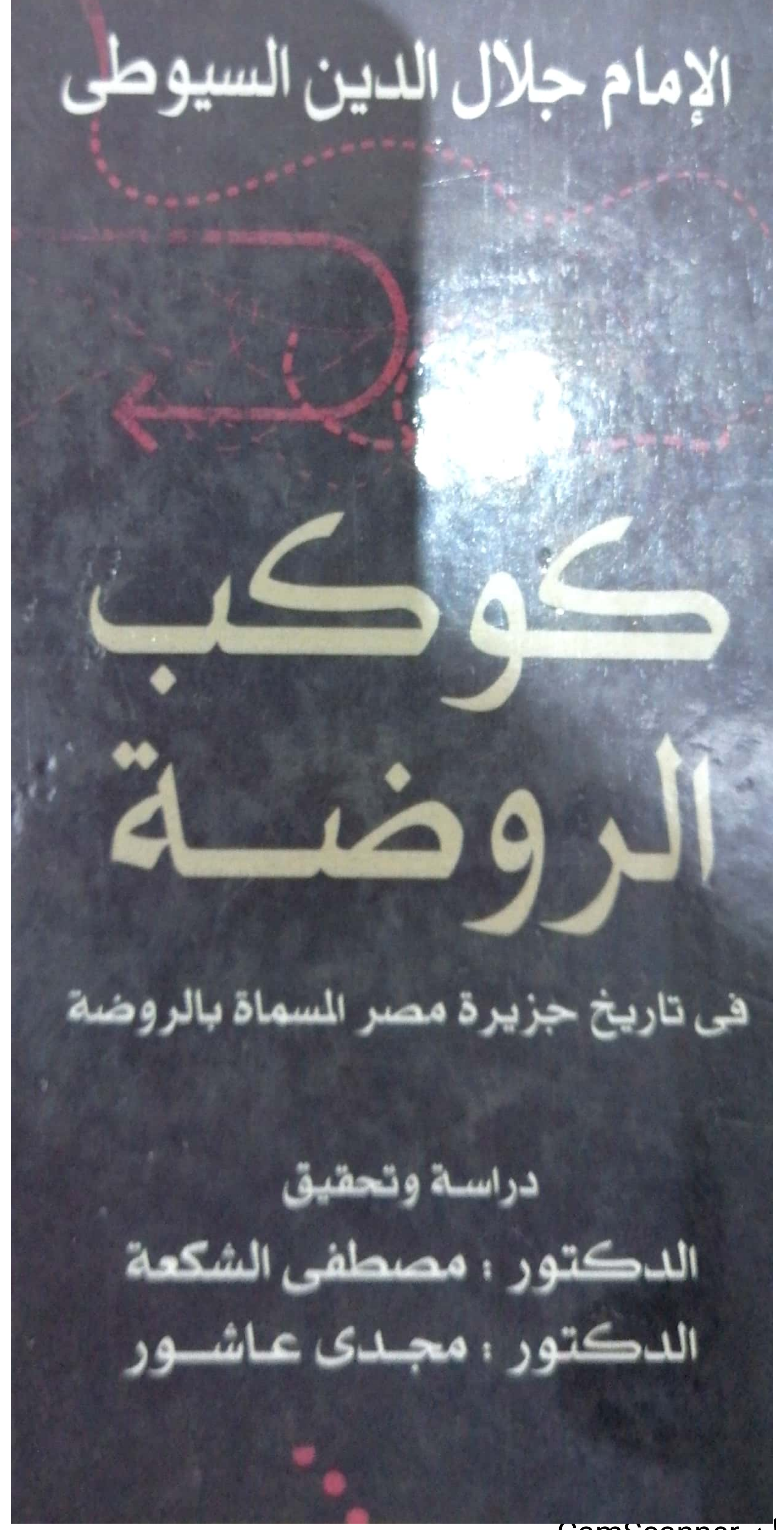
CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

فقال له المشمش لقد تطاولت علي وارتفعت • وتباطلت وما
خضعت • وهذا الجدال يطول • وكلما قلت اقول • فارتفع معي
الي بعض الحكام • وارحنا من الجدال والخصام • ممن ينصف المظلوم
الاعادل ذو ابرام • فبادره التوت الي ما سال • وقال له العجل العجل
فسالاعن من له خبرة بالاتناب • وله بيان واشهاب • وحكمة
وفصل خطاب • فدلا علي حاكم من ذوي الالباب • الذين جربوا
الامور الصعاب • وراوا من الدهر العجاب • قد سبر سبر الجمهور
وخبر الاحيا واهل القبور • وجال في البلاد وجاب • وعاشر من
شب وشاب • له علم ودرايه • وسند وروايه • وبلغ في التفنن
في الماكل الغايه • فذهبا اليه • وتحاكما بين يديه • وسالاه
الحكم بعلمه • والقضا بينهما بقوي فهمه • بعد ان قصا عليه القصص
واطلعاه علي مناظرتهما الظاهره والخفيه • فحمد الله خالق النهار
ورازق الاطيار • وزين البساتين بالاشجار والانهار • وصلي علي
نبيه محمد المختار • وقال اما بعد اذا رضيتما بحكمي • فلا بد من
تحقيق علمي • فليحضر كل منكما اطيب انواعه • لا شاهد لطيف
حسنه وابداعه • ولا باشر اكله • ولحقق فضله • وابالغ في
استعمال كل منكما في الاقتضاض • ويقضي الله بعد ذلك ما هو

قاص

قاص • فتسابق كل منهما في احضار اطيب نوعه وجلبه • مما هو
لصباحه وقطعه لاسمه • وكانت قد اتت علي الحاكم مدة مديده
وايام عديده • لم يستطعم فيها بطعام ولا مشروب • فصادف
حضورهما اليه حاجة في نفس يعقوب • والتقم رايق الخراساني
عسفا • ونسف رطب السلطاني نسفا • وتناول المحيني كفا كفا
الي ان وقف علي قوله تعالي ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها
ربي نسفا • فلما حصل علي المحصن • قام يتبختر • ومشي يتمخطر
وقال من الامتلا يتخصرم • وقال وقد استد باب الكلام • واشتبه
علي الحكم في هذا المقام • فاتركا الجدال والخصام • وانصرفا
عني بسلام • واذا ارتشي الحاكم من الخصمين • فما يذهب كل منهما
الا قرير العين • ولو كنت اقتصرت علي التناول من احدكما
لرجحته غايت الترجيح • فما منكم احد الا وهو مليح الوجه
فصيح • ومن بعد ان حصلت لي الفايده • ورفعت المايده • فما
بقي لي فايده • ومن يصير الي العدم والذهاب • ويصبح جيفة
ملقاة في التراب • ويمسي طريحا علي المزابل كتالف الخضراوات
ومدته في البقا يسيره • وايامه معدودة قصيره • فبم يفتخر
علي جاره • وبم يعتز في بستانه وداره • والمصلحة عندي

الصلح والصلاح • وان يكون حزوجكما على احسن رواح • فكانما
افاقا من السكره • وزالت من بينهما النفره • واصطلحا صلحا
بقيا متعانقين في الاواني • متلازمين في الصواني • وزال
الشقاق • ورجا الرفاق • فشكرا على هذا الصنيع • وتاسف على
فراقهما من الناس الجميع • تمت المقامة بحمد الله وعونه •


الإمام جلال الدين السيوطى
كوكب
الروضة
فى تاريخ جزيرة مصر المسماة بالروضة
دراسة وتحقيق
الدكتور : مصطفى الشكعة
الدكتور : مجدى عاشور

مفاخرة بين المشمش والتوت

للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى1 رحمهما الله تعالى والمسلمين:

الحمد لله الذى جعل العام فصولا أربعة، وجعل لكل فصل منها ثمارا متنوعة، والصلاة والسلام على نبيه وصفيه الذى اهتدى من اقتدى به وتَبِعَه واتَّبعه.

وبعد:

فلما قدم الربيع فى طلائعه وجنوده، وسحب وشى مطارفه2 وبروده، وزهت[1] الدنيا بأزهاره، وانتشر نشرها بانتشاره، وزينت الخلائق بالصور والقدود، (ونورت الوجوه)[2] بالحدق والخدود، وأصبح فى كل روضة ندٌّ وعود، فالوُرْق بين الوَرَق تتغنى، والغصون ترقص لتصفيق الأنهار وتتثنى[3]، فأراح عند ذلك الأرواح، وتنافست النفوس فى المسرات والأفراح، وتأهبت ثماره للقدوم وأزهاره للرواح، وسار فى الساقة الورد، وهرب ما يبقى من البرد، وأقبل المقدم التوت الرئيس الصادق فى حلاوته، فجلا صدى القلوب من طول غيبته، وملأ الصدور من رونق هيبته.

---

(١) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٢) ما بين القوسين ليس فى الأصل، جـ.

(٣) فى الأصل: وتفتنى.

---

1 المتوفى سنة ٧٤٨هـ.وهو صاحب « تاريخ الإسلام » و « سير أعلام النبلاء » وكتب تراجم رواة الأحاديث.

2 مطارفه: المطارف جمع مِطْرَف، وهو ثوب من خَزٍّ مربَّع ذو أعلام.

شفى النفوسَ من الأدواءِ والوَصَبِ (١)	قوتٌ بدا طعمه أحلى من الضَّرَبِ 1

أفديه توتا له الفضلُ المبينُ على	ما فى البساتين من تمرٍ ومن عِنَبِ

فبينما هو يجول فى ميدان تيهه ومرحه، ويصول فى قلوعه من شدة فرحهُ إذ هجم عليه المشمس المعشوق، والملك السعيد المرقوق، بين أعلامه الصُّفْر، وبنود أغصانه الخُضْر.

كأنَّه حينَ يبدو فى الغصون ضحىً	بنادقُ الرَّمْي قد صِيغَتْ من الذهبِ

وبالنجوم إذا انْقَضَّتْ تشبهه	إذا بدا ساقطا من شدة اللَّهَبِ

فصاح على التوت صيحةً أرعب(٢) بها جنوده، ونثر بها نظام أمره وعقوده، فعدم التوت الاصطبار، وعزم على الفرار، ثم تشجع ووقف للنضال، وقعد للمخاصمة والجدال، وقوى فكه وقال: أيها المليح الطيب المخبر، المنسوب فى الشبه إلى بنى الأصفر، اللابس الدرع المعصفر، (لم تهجمت) (٣)على مقامى والرتب(٤) وأنا قد سبقت إلى الشفا من الوَصَب، وأرزيت بالرطب، وملأت الشوارع، وجلست على القوارع، واستوى فى الوصول إلَىَّ الغنى والفقير القانع، والفضل للسابق لا للاحق.

فالتفت إليه المشمش التفات المُدَلَّل المتكبر، وصاح عليه صيحة المتجبر، وقال: أيها العليل الوجع، والثقيل الدلع، هل أنت إلا من بعض أجنادى، أما علمت أن الدولة لى والبلاد بلادى، والناس تعد لى الأيام، وتنتظرنى انتظار وابل الغمام، وتعد الناس لقدومى(٥) أيام البطالة، وكل يهيئ لتلقى أنواعى آله، ومن جملة

---

(١) فى ب: والنصب. وفى جـ: والصب.
(٢) فى جـ: أرعد.
(٣) فى الأصل: ثم نجمت.
(٤) فى الأصل: والذنب.
(٥) فى الأصل: لقدرى.

---

1 الضرب، بفتح الضاد والراء: العسل الأبيض الغليظ.

شروط [1] الواقف فى المدارس استثنا أيام ورودى، وإنجاز وعودى، ولى تضمن البساتين، وتغنى القدور وتصفق الهواوين1، ولا يذكرون إلا أيام المشمش لا زمان التوت، فمت كمدا إن أردت أن تموت، وإلا فالزم الخرس والسكوت وإن كنت قد تقدمت فما أنت إلا خادم وصاحب، ومتى عَلَتْ عَيْنٌ على حاجب؟

فقال له التوت: طمعت فى جانبى حين بَعُدَ القرين، وعز المُسْعد والمعين، ولو كان فيك تقوى، لما كان قلبك على جارك يقوى، وإن كان غرضك المقام، فأنا أودع وأرحل بسلام.

فقال له المشمس: سَافِرْ من هذه الديار، فما لك معى فيها قرار، وإن رضيت برميك على المزابل للكلاب، وإلا فتلقح فى الشمس وقاسى الالتهاب، ودق رأسك بالمرازب، وستعلم أينا الصادق من الكاذب، أما تتأدب مع من لونه لون الذهب، وطعمه يروى بالسكر والعنب، وخده أصقل من خد الخود الحسان، وقلبه أبيض من لؤلؤ نيسان، وقيمته من أجل الأثمان.

فقال له التوت: إذا كان لابد من المقابحة، والمكالمة والمواقحة، فاخرج من نشورك للمناظرة، ودع عنك المكابرة، أنا الخفيف الثمن، واللطيف فى البدن، والرطب للسمن، يميد لى الغصن الأملود2، وكأننى اللؤلؤ فى العقود، ولى السدس ألوية وبنود، وأنت قد علاك الصفار بعد الاخضرار، وراح قلبك من العشى حجرا من الأحجار، تثقل على المعدة، وتفسد الطعام فى أقل مدة، وتحتاج إلى التصريف، وإلا بودرت بالقىء فى الكنيف، تستحيل إلى الصفراء، وتصير من جملة الأدواء، وبئست الخلتان الاستحالة والحمضة، وياما أحدث أكلك من مرضة، وأنا انصراف عن المعدة بسرعة، أما ترى مائى أصفى من دمعة، ولا أمنع الأكل من الشبعة والرجعة.

---

(1) هذه اللفظة ليست فى الأصل، ب.

---

1 الهواوين: جمع هَاوُون، وهو وعاء مُجَوَّف من الحديد أو النحاس يُدَقُّ فيه.

2 الأملود: كالأملد، وهو الناعم اللين.

فعظم على المشمس هذا الكلام، وأخذه القلق والابتلام1، وقال: ويلك تخاطبنى بهذه المقالة، وأنت شديد الاستحالة، ولا تبقى على حالة، وللسقم أقوى آلة، أما تعلم أنك مرعى الذباب، ولا يسمن عليك إلا الكلاب، أنت من أنواعك الكلابى، وأنا من أنواعى المحسنى، ومتى ساوى المحسن من ذوى الألباب للكلاب أبناء الكلاب، ليست حلاوتك عند قدومك صادقة، ولا رؤيتك بهيجة ورائقة، ولا الشبعة منك لائقة، ترخى المِعَدة، وتحرك البرد والرِّعْدَة، ومع كونك رخيص العوض، أكلك داء ومرض، وأنا ذو الألوان النيرهُ الفاخرة، والرؤية الباهرة، ولى تنفق الأموال، وتتفاخر بكثرة أكلى الرجال، يعدُّونى عد الدنانير والدراهم، وأنزل على القلوب كالمراهم، لى الأجناس والأنواع، والخدم والأتباع، أنا من أغلى الفواكه ثمنا، وأنت من اشتراك قنطارا بدرهم قد غبن غبنا، أنت فى الثمن كالجزر، وأنا كالدرة النفيسة بين الدرر، ولا شك أن الغالى أعز، والرخيص يلقى ويُبَز.

أنا كريم الطباع بأدنى تحريك أسمح بثمرى للجانى، وإن كان جانى2، وهذا طبع الكرام، وأنت ردىء الطباع لا تجنى إلا بالعصى والمرازب والدق والضرب لا ينال منك ثمر إلا بالعنف، وهذا من طبع اللئام، ولا ينكر هذا أحد من الأنام.

فقال له التوت: تعاظمت فوق الحاجة، وتجاوزت الحدَّ فى اللجاجة، أما قولك لى: تسمن الكلاب، فأنت المنسوب إلى بنى الأصفر الملعونين وبنى الكلاب، وإن كانت حلاوتى فى ابتدائى غير صادقة، فحموضتك أول أمرك محققة غير لائقة، وإن كنتُ رخيص الثمن، فهذا شيء حسن، ينتفع بى الغرباء وأهل الوطن، وأنت خلا من كل مَنّ، ولولا انتسابك إلى اللوز ما مشى لك حال، ولا خطرتَ فى بال، ولكنتَ من الوبال، ولصرتَ فى أنحس الأَحْوال، وما تشبه حلاوتك بالرطب، ولا ذاتك بجيد العنب، وأنت كثير العطب، وإذا سلمت فى النادر من الزمان فعجب، متى هَبَّتْ عليك شرقية، قلت: لم هذه البلية؟ أعوذ بالله من الساعات الردية، رحت

---

1 الابتلام: السكوت.

2 الصواب أن يقال جانيًا، وتُركت هكذا لتستقيم السجعة.

والله من الصفعة فى أنحس قضية، فتضحى منك أشجارك داوية، وأغصانك على عروشها خاوية، وولت عنك السعادة، واكتسى غصنك ثوب حداده، وصيرك الله عبرة لعباده، وتمثل من لم يحظ منك بمراده حيث يقول:

ذهبت بشاشةُ حُسْنِ وجهِ المشمشِ ... وغدا يطالعنا بوجهٍ أنْمَشِ

واسودَّ منه الوجهُ حتى إنه ... كالفحم[1] أو بالنقش يوما قد حُشِى

ضَعُفَتْ قواهُ فكلما هَبَّتْ صَبا ... تحيى الزروع بطيب رياها غُشِى

وأنا فلا تؤثر فىَّ لواقح الرياح[2]، ولا لوافح نسمات الصباح، لثبات أصلى وفرعى، وصلابة جسمى وشدة منعى، أتلقى العواصف بصدر رحيب، ولا أخاف من جليد، ولا أخشى من الحر اللهيب، ولولا أوراقى ما وُجِدَ الحرير، ولولا ساقى ما ثبت دار الأمير، وفىَّ يقول الصديق الرفيق، والحبيب اللبيب:

أَمَا تَرَى التوتَ قد وافاكَ مبتكرًا ... مُدَرَّعًا فى الصوانى أفخر الحُلَلِ

كالثلج فى قوة الحر الشديد له ... طعم يشبه بالجُلّاب والعَسَلِ

يشفى القلوبَ ويرويها على ظمإٍ ... ويفتدى برده بالفل والنَّهَلِ

هو الإمام الذى لولا تقدُّمه ... ما فَرَّقَ الناسُ بين الجَدْىِ والحَمَلِ

فقال له المشمش: لقد تطاولت علىَّ وارتفعت، وتبطالت وما خضعت، وهذا الجدال يطول، وكلما قلتَ أقول، فارتفع معى إلى بعض الحكام، وأرحنا من الجدال والخصام، فما ينصف المظلوم إلا عادل ذو إبرام.

فبادره التوت إلى ما سأل، وقال له العَجَل العَجَل، فسألا عمن (له خبرة بالأنساب)[3]، وله بيان وإسهاب، وحكمة وفصل خطاب، فَدُلاَّ على حاكم من ذوى الألباب، الذين جَرَّبوا الأمور الصعاب، ورأوا من الدهر العُجَاب، قد سَبَرَ

---

(١) فى الأصل: كالنجم. وفى ب: كالذوابا.

(٢) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٣) فى الأصل: لدخله بالإنسان.

سِيَرَ الجمهور، وخَبَرَ الأحياء وأهل القبور[1]، وجال فى البلاد وجاب، وعاشر من شب وشاب، له علم ودراية، وسند ورواية، وبلغ فى التفتن فى المأكل الغاية، فذهبا إليه، وتحاكما بين يديه، وسألاه الحكْمَ بعلمه، والقضاء بينهما بقوة فهمه، بعد أن قصّا عليه القضيَّة، وأطلعاه على مناظرتهما الظاهرة والخفية، فحمد لله خالق الثمار، ورازق الأطيار، ومزين البساتين بالأشجار والأنهار، وصلى على نبيه محمد المختار، وقال:

أما بعد: فإذا رضيتما بحكمى، فلابد من تحقيق علمى، فليحضر كل منكما[2]، أطيب أنواعه، لأشاهد لطيف حُسْنه وإبداعه، ولأباشر أكْلَه، وأتحقق فَضْلَه، وأبالغ فى استعمال كل منكما فى الاقتضاض، ويقضى الله بعد ذلك ما هو قاض.

فتأنق كل منهما فى إحضار أطيب نوعه وجنسه، ماهز لصاحبه وقطف لامسه، وكانت قد أتت على الحاكم مدة مديدة، وأيام عديدة، لم يستطعم فيها بمطعوم[3]، ولا بمشروب، فصادف حضورهما إليه حاجَه فى نفس يعقوب، فالتقم رايق الخراسانى عَسْفًا، وسف رطب السلطانى سَفًّا، وتناول المحسنى كَفًّا كَفًّا[4]، إلى أن وقف على قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾1.

فلما حصل على المحضر، قام يتبختر، ومشى يتخطر، ومال من الامتلاء يتحصر، وقال: قد استبد باب الكلام، واشتبه عليَّ الحكم فى هذا المقام، فاتركا الجدال والخصام، وانصرفا عنى بسلام، وإذا ارتشى الحاكم من الخصمين، فما يذهب كل منهما إلا قرير العين، ولو كنت اقتصرت على التناول من أحدكما لرجحته غاية الترجيح، فما منكم من أحد إلا وهو مليح الوجه صبيح، وبعد أن حصلت لى

---

(١) فى الأصل: القبعه.
(٢) فى الأصل: منهما.
(٣) فى الأصل: بطعام.
(٤) فى ب، جـ: كفا وكفا.

---

1 سورة طه الآية ١٠٥.

العائدة، ورفعت المائدة، فما بقى لى فائدة، ومن يصير إلى العدم والذهاب، ويصبح جيفة ملقاة فى التراب، ويمسى طريحا على المزابل كتالف الخضراوات، ومدته فى البقاء يسيرة، وأيامه معدودة قصيرة، فبم يفتخر على جاره، ويسيء عشرته فى بستانه وداره؟ والمصلحة عندى الصلح والصلاح، وأن يكون خروجكما على أحسن رواح.

فكأنما أفاقا من السكرة، وزالت من بينهما النفرة، واصطلحا صلحا بقيا به متعانقين[1] فى الأوانى، متلازمين فى الصَّوانى، وزال[2] الشقاق، وربحا الوفاق، فشكرا على هذا الصنيع، وتأسف على فراقهما من الناس الجميع.

---

(1) فى ب، جـ: متوافقين.
(2) فى الأصل: وزاد. وما أثبتناه من بقية النسخ موافق للسياق.